مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

أزمات الرواية الإسرائيلية واستراتيجيات حرب نتنياهو الرقمية الجديدة

محمد بن ساري الزعبي

باحث

مركز الخليج للأبحاث

ملخص تنفيذي

لقد أعادت حرب غزة إلى الأذهان ما يُروى عن الحروب العالمية الأولى والثانية، حيث تُشعل غطرسة القوة العسكرية أزمات وكوارث إنسانية تكاد تكون أزلية، لكن هذه الحرب كانت مختلفة بينما شاهد العالم أجمع وشهد على ما فعلته إسرائيل بالقطاع وأهله، وساعد على ذلك ليس الانتشار اللانهائي للمعلومة والحدث عبر وسائل التواصل الاجتماعي وحسب، بل ردود الفعل واسعة النطاق التي اجتاحت جميع فئات المجتمع الدولي. بينما تُواصل إسرائيل تبرير حملتها على أنها «دفاع وطني»، بينما يصور الإعلام العالمي أفعالها على أنها جرائم وحشية، وغير مبررة، بل وإبادة جماعية في حق الأبرياء والعُزّل من أبناء الشعب الفلسطيني. وحوّلت منظمات حقوق الإنسان، ومسؤولو الأمم المتحدة، وفاعلو المجتمع المدني في جنوب وشمال العالم، رواية «الإبادة الجماعية» من خطاب الناشطين إلى نقاش قانوني وأخلاقي. كما تجاوز هذا التحوّل حدود استراتيجية «هاسبارا» (الدبلوماسية العامة) الإسرائيلية التقليدية.

كانت التصريحات الرسمية، والضغط الدبلوماسي، والوصول الصحفي المُنتقى كافيًا في السابق، لكن البيئة الرقمية فائقة الوضوح اليوم تنقل صور الدمار والمجاعة والنزوح بشكل لحظي. ولا يقتصر الأمر على الإبلاغ عن الخسائر الإنسانية في غزة وحسب، بل البث مباشرةً. وهذه الديناميكية تقوّض صورة إسرائيل لدى الرأي العام الغربي وتُعقّد جهودها للحفاظ على شرعيتها السياسية في العواصم الغربية.

وقد ردّ رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو بإعادة تموضع وسائل التواصل الاجتماعي صراحة «كسلاح». يعكس تركيزه على تيك توك، المنصة الأكثر تأثيرًا بين الفئات العمرية الأصغر سنًا، ومنصة إكس، المملوكة لإيلون ماسك، إدراكًا بأن شرعية السرد تُصنع في الأنظمة الرقمية بدلًا من الغرف الدبلوماسية أو الصفحات التحريرية. تسعى إسرائيل إلى تجديد سرديتها وإبطاء تآكل صورتها العالمية، من خلال حشد المؤثرين، والحملات المنسقة، والمحتوى المتوافق مع الخوارزميات، والضغط على مالكي المنصات. لكن الانقسامات بين الأجيال تشير إلى أن جمهور الشباب النشط على هذه المنصات والمشكك في الروايات الرسمية، لا يزال يقاوم التأطير المؤيد لإسرائيل.

تطرح هذه الورقة أنه على الرغم من أن هجوم نتنياهو الرقمي المضاد المتوقع، قد يُضعف مؤقتًا قوة الروايات المضادة لإسرائيل، إلا أنه لا يستطيع عكس مسار الانطباع الذي شكلته الوقائع الميدانية في غزة، على الأقل بالنسبة لصُنّاع السياسات ومراكز الفكر ومجتمعات حوكمة التكنولوجيا، وتُبرز هذه الحالة درسًا

أوسع نطاقًا مفاده أن الشرعية في الصراعات المعاصرة تُحددها الخوارزميات والتأطير الرقمي بقدر ما تُحددها نتائج ساحة المعركة أو المناورات الدبلوماسية، ويجب أن يكون هناك استراتيجيات استباقية مضادة لمثل هذه الموجات التي من الممكن استخدامها على العديد من الجبهات.

مقدمة

لم تقتصر حرب غزة في عام ٢٠٢٥ م، على التصعيد العسكري فحسب، بل اتسمت بأزمة شرعية عميقة تجاه إسرائيل. لا يمكن بأي شكل إنكار الخسائر الإنسانية الفادحة، والتدمير واسع النطاق للبنية التحتية المدنية، والنزوح القسري لمئات الآلاف، والقيود على الغذاء والدواء، وتزايد الخسائر المدنية، ويصنف المراقبون الدوليون هذه الأعمال على أنها ممنهجة ومتعمدة، وبالتالي تُصنّف على أنها إبادة جماعية، وهذا تطور في السرد كان له عواقب وخيمة على إسرائيل.

يُغيّر استخدام وصف «الإبادة الجماعية» من أجواء النقاش، فبدلًا من الطعن في الضرورة العسكرية، تُحاكَم إسرائيل على أخطر الجرائم الدولية. فمن الناحية الأخلاقية والقانونية والسمعة، يُمثل هذا تحديًا وجوديًا لها. في الوقت نفسه، تغيّرت طبيعة تدفق المعلومات، حيث لم تعد الجهات المسؤولة عن السرد الإعلامي التقليدي (الحكومات؛ وسائل الإعلام الرئيسية؛ الإذاعات الحكومية) هي المسيطرة، بل أصبحت منصات التواصل الاجتماعي الساحة الرئيسية وتشكل الرأي العام. حيث شكّل مقاطع فيديو تيك توك للأطفال تحت الأنقاض، ورسائل إكس المباشرة من عمال الإغاثة، وصور الأقمار الصناعية المتداولة عبر إنستغرام، مجتمعةً الخطاب العالمي بصورته الأقوى والأكثر تأثيرًا من التصريحات الرسمية أو المؤتمرات الصحفية الحكومية.

لقد اعتمدت استراتيجية «هاسبارا» الإسرائيلية التقليدية تاريخيًا على ثلاثة ركائز، بداية من التأطير الأمني من خلال تصوير جميع العمليات كتدابير دفاعية ضد التهديدات الوجودية، واستمرار القيام بدور الضحية عبر ربط الصراعات المعاصرة بالصدامات التاريخية، وخاصة المحرقة النازية، والضغط الدبلوماسي من خلال الاستفادة من العلاقات الدولية لتعزيز شرعية إسرائيل في المحافل الدولية. وتعتبر هذه الركائز الآن مُجهدة تماماً، فالأدلة المرئية على الأضرار الجماعية التي لحقت بالمدنيين تُقوّض حجة التناسب. كما أن الخطاب اللاإنساني للمسؤولين الإسرائيليين يُقوّض «المكانة الأخلاقية العالية للضحية التاريخية». وبينما لا يزال الضغط الدبلوماسي فعالًا في بعض العواصم الغربية، إلا أن تأثيره على الجماهير في العالم، وخاصة الأجيال الشابة التي لديها القدرة على الوصول المباشر إلى صور غير مُفلترة من غزة، أقل بكثير.

في هذه البيئة، أعاد رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو صياغة الصراع المعلوماتي. وقد وصف وسائل التواصل الاجتماعي بأنها «السلاح الأهم»، مبرزاً الأهمية الخاصة لمنصة تيك توك في تشكيل الرأي العام، ومُسلّطًا الضوء على تواصله المباشر مع إيلون ماسك كعنصر استراتيجي. وهذا الخطاب يُشير إلى تحول مُتعمّد من الدعاية الإعلامية التقليدية نحو حرب المعلومات الرقمية. وقد تتضمن الاستراتيجية تأثير المنصات عبر بناء علاقات مع مالكيها لتعديل الوضع، وترتيب حملات مُنسّقة من خلال نشر مُبلّغين متطوعين، وروبوتات، ومحتوى مُولّد بالذكاء الاصطناعي لإغراق المنصات بروايات مُؤيدة لإسرائيل، والتعبئة عبر تجنيد المؤثرين الغربيين وجنود جيش الدفاع الإسرائيلي لإضفاء طابع إنساني على وجهات النظر الإسرائيلية وإعادة صياغة الروايات، وبالمقابل، تشويه سمعة الحسابات الداعمة للفلسطينيين باعتبارها «مزيفة» أو «مُدبّرة» من خلال حملات مثل «غزة وود»، وإنتاج محتوى قصير، مؤثر عاطفيًا، وقابل للمشاركة، ومُحسّن لمختصرات تيك توك وإنستغرام.

الوضع الراهن: صورة إسرائيل ورواية الإبادة الجماعية

ركّز نهج إسرائيل في الدبلوماسية العامة (المعروف بالعبرية باسم هاسبارا) لعقود على تصوير أفعالها على أنها دفاعية ومبررة في إطار القانون الدولي. وقد حافظ بالفعل المسؤولون الإسرائيليون على نجاح نسبي في صياغة سرديات حول التهديدات الأمنية الوجودية خلال صراعات سابقة، مثل حرب الأيام الستة (١٩٦٧م)، أو حرب لبنان (٢٠٠٦م)، أو عملية «الجرف الصامد» في غزة (٢٠١٤م). ساعد التعاطف العالمي الناتج عن رواية المحرقة، إلى جانب تصوير إسرائيل كمعقل ديمقراطي محاط بقوى معادية، في حمايتها من التآكل المستمر لسمعتها.

قوّضت بيئة المعلومات المعاصرة هذه المزايا كلها. ففي عصر انتشار الهواتف الذكية، وصور الأقمار الصناعية، وإنتاج المحتوى التلقائي، ضعفت سيطرة الدولة على الروايات الإعلامية الرسمية، فالصور الرقمية الآنية غالبًا ما تُحدد الآن كيفية إدراك الصراعات. لقد تزامن هذا التحول بالنسبة لإسرائيل، مع تصعيد في غزة يُنظر إليه على نطاق واسع أنه بربري وغير متناسب. وقد كان وصف «الإبادة الجماعية» في السابق مُقتصرًا على المنظمات الناشطة وجماعات المناصرة الفلسطينية. أما في عام ٢٠٢٥م، دخل هذا المصطلح الخطاب السائد، ودفعت تقارير منظمة العفو الدولية و«هيومن رايتس ووتش»، ونتائج المقررين الخاصين للأمم المتحدة، وتصريحات علماء القانون، بهذا المصطلح ومصطلحات مرادفة مثل «القتل الممنهج» إلى التغطية العالمية.

> **في عصر انتشار الهواتف الذكية، وصور الأقمار الصناعية، وإنتاج المحتوى التلقائي، ضعفت سيطرة الدولة على الروايات الإعلامية الرسمية، فالصور الرقمية الآنية غالبًا ما تُحدد الآن كيفية إدراك الصراعات**

وفّرت صور الأقمار الصناعية للأحياء المدمرة مثل خزاعة، إلى جانب شهادات عمال الإغاثة حول المجاعة والتهجير القسري، ركائز عملية للإبادة الجماعية. والأهم من ذلك، أن منظمات حقوق الإنسان الإسرائيلية مثل «بتسيلم» وغيرها أضافت أصواتها، مما منحها شرعية داخلية لم يستطع النقاد الخارجيون وحدهم تحقيقها. وينبع إطار

الإبادة الجماعية من ثلاثة عوامل أهمها الأدلة التراكمية، حيث يُشكل مزيج تدمير البنية التحتية، والمجاعة الناجمة عن الحصار، وارتفاع أعداد القتلى المدنيين نمطًا يصعب تصنيفه كأضرار جانبية، بالإضافة إلى الخطاب الرسمي، حيث انتشرت تصريحات المسؤولين الإسرائيليين على نطاق واسع، بما في ذلك دعوات «إبادة غزة» أو وصف الفلسطينيين «بالحيوانات البشرية»، وفُسِّرت على أنها نية إبادة جماعية كذلك. أما العامل الثالث فهو الثقل الأخلاقي، حيث إن الإبادة الجماعية لم تكن مجرد وصف، بل هي «جريمة الجرائم»، واستحضارها يرفع من الأخطار على السمعة ما يتجاوز خطاب جرائم الحرب الاعتيادي، مما يُجبر الحكومات والجماهير على مواجهة شرعية إسرائيل على مستوى أساسي.

بالنسبة للمشهد الإعلامي وصراع السرد، فلا تزال وسائل الإعلام الغربية الرئيسية، مثل نيويورك تايمز، وبي بي سي، وسي إن إن، تُوفر لإسرائيل مساحة سردية كبيرة. تمنع القيود المفروضة على الوصول إلى غزة، بما في ذلك متطلبات التغطية الإعلامية وتصاريح الصحافة المحدودة، والتغطية المستقلة. كما يستخدم المسؤولون الإسرائيليون هذه الميزة الهيكلية لتأطير العمليات كضرورات أمنية، بينما يشككون في مصداقية المصادر الفلسطينية. ومع ذلك، طعنت الصحافة الغربية، خاصة من المنافذ الأوروبية ومنافذ الجنوب العالمي، في هذه الادعاءات. وقد وثقت منافذ مثل «لوموند» تطبيع الخطاب اللاإنساني في الخطاب الإسرائيلي، بينما نشرت «رويترز» و«الغارديان» روايات مفصلة عن الانهيار الإنساني هناك.

يكمن التميز الحقيقي للمجال الرقمي، في استقبال منصّات تيك توك وإنستغرام وإكس سيلًا من الصور غير المفلترة تشمل أطفالاً تحت الأنقاض، وعائلات تتضور جوعًا، ومستشفيات تحولت إلى أنقاض. غالبًا ما تتجاوز هذه الصور مرشحات التحرير الاحترافية، وتصل إلى الجماهير في شكل خام. يفضّل المنطق الخوارزمي لهذه المنصات المحتوى العاطفي، مما يضخم الروايات الإنسانية على البيانات الرسمية. تفسر هذه الديناميكية سبب ميل الفئات السكانية الأصغر سنًا في الولايات المتحدة وأوروبا إلى تأييد الفلسطينيين، حتى مع استمرار الحكومات في سياساتها المؤيدة لإسرائيل. ويبيّن جدول رقم (ا) الاختلافات الإقليمية في ردود الفعل.

جدول رقم (ا): الاختلافات الإقليمية في ردود الفعل تجاه الإبادة الجماعية في غزّة

الجنوب العالمي	تبرز وسائل الإعلام في أمريكا اللاتينية وأفريقيا وآسيا روايات الإبادة الجماعية، رابطةً غزة بتاريخ أوسع من الاستعمار والقمع
الشمال العالمي	لا تزال وسائل الإعلام الغربية منقسمة، وغالبًا ما توازن بين التأطير الرسمي الإسرائيلي والروايات الإنسانية، لكنها تواجه ضغوطًا من جماهير تنتقد السلوك الإسرائيلي

يبين الجدول رقم (٢) السرديات الكبرى المتنافسة ضمن إطار الإبادة الجماعية في غزة، والانتشار الإعلامي واسع النطاق حولها.

جدول رقم (٢): السرديات الكبرى المتنافسة ضمن إطار الإبادة الجماعية في غزة	
الإطار الإسرائيلي	**الإطار الفلسطيني والنقدي المضاد**
إبراز التهديد الوجودي، وتُصوير حماس كمنظمة إرهابية مكرسة لتدمير إسرائيل، مما يُبرر الحملات العسكرية واسعة النطاق	إبراز الضحية، وأن الفلسطينيين ليسوا مُعتدين، بل ضحايا لمشروع استعماري استيطاني يفرض نزع الملكية بشكل منهجي
استمرار لعب دور الضحية، وربط التهديدات المعاصرة بالصدمات التاريخية، وخاصةً المحرقة، مما يُصوِّر الانتقادات على أنها معادية للسامية	التدمير المتعمد الواضح في حجم النزوح، وظروف الحصار، وخطاب الإبادة والتي لا تُشير إلى الصدفة، بل إلى القصد والتعمّد
الدفاع عن النفس في ظل عدم التماثل، حيث يُصوَّر الضرر الذي يلحق بالمدنيين على أنه مأساوي، ولكنه لا مفر منه بالنظر إلى استخدام حماس المزعوم للدروع البشرية	إبراز الشرعية الأخلاقية، حيث يرفع إطار الإبادة الجماعية المعاناة الفلسطينية إلى مستوى مطالبة أخلاقية عالمية، تتوافق مع الحركات العالمية من أجل العدالة

تداعيات الوضع الراهن

1. تآكل النفوذ الصوري الإسرائيلي، فبينما كانت تستغل الصدمات التاريخية لتبرير شرعيتها الأخلاقية، فهي تواجه الآن اتهامات بارتكاب الجرائم ذاتها التي سعت إلى منعها.

2. انقسام الأجيال، حيث يتزايد رفض جمهور الشباب، الذي تشكله وسائل التواصل الاجتماعي، للتأطير الإسرائيلي، مما يشكل تحوّلاً طويل الأمد في الدعم السياسي الغربي.

3. عدم تناسق السرد، حيث تتفوق فورية وعاطفية الصور الإنسانية على استراتيجيات التأطير الإسرائيلية الأبطأ والأكثر دفاعية.

4. تفاقم فخ السمعة، فبمجرد أن تصبح الإبادة الجماعية هي العدسة السردية السائدة، تتضاءل قدرة إسرائيل على إعادة صياغة الصراع حول المخاوف الأمنية بشكل حاد.

هجوم نتنياهو الرقمي المضاد

أوضح رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو ما لطالما أشارت إليه العديد من الدول؛ لم تعد وسائل التواصل الاجتماعي مجرد أداة اتصال، بل سلاحًا استراتيجيًا. وفي لقاءات مع مؤثرين مؤيدين لإسرائيل في الولايات المتحدة، وصف نتنياهو تيك توك بأنه «ساحة المعركة الأهم» لتشكيل الرأي العام. كما شدد على بناء علاقات مع إيلون ماسك، واصفًا إياه «بالصديق»، مؤكدًا على القيمة الجيوسياسية لملكية المنصة. يمثل هذا التأطير انحرافًا عن نموذج «هاسبارا» الإسرائيلي التقليدي. فبينما اعتمدت «هاسبارا» على

الدبلوماسيين والمتحدثين الرسميين والإحاطات الصحفية المُنسقة، يعكس نهج نتنياهو منطق عصر الخوارزميات، حيث يجب تحسين السرديات وتضخيمها وتسليحها آنيًا، بينما لم تعد ساحة المعركة الرقمية مُكملة للحرب؛ بل هي جزء لا يتجزأ من الحفاظ على الشرعية.

لا بد وأن نتنياهو يُجهّز أدوات وتكتيكات إعادة التعبئة لتوسيع النفوذ في المنصات الرقمية واستغلال ملكيتها، حيث أبدى اهتمامًا بالغًا بمصير تيك توك، لا سيما في ظل الجدل الدائر في الولايات المتحدة حول حظر المنصة أو الاستحواذ عليها. ويوحي خطابه بأن السيطرة أو التأثير على تيك توك قد يُترجم مباشرةً إلى هيمنة سردية. كما يعكس التعاون مع إيلون ماسك حسابات استراتيجية، إذ لا تزال منصة إكس ذات أهمية محورية للصحفيين وصُنّاع السياسات والمؤثرين، ويمكن أن تضمن المعاملة الخوارزمية الملائمة أو التساهل في الإشراف الحفاظ على ظهور المحتوى المؤيد لإسرائيل في حين تُقمع الأصوات الناقدة.

من البديهي أن يستخدم نتنياهو خلال ذلك الحملات المنسقة والمتطوعين الرقميين، بينما تحشد له شبكات مثل «آيرون تروث» آلاف المتطوعين للتوعية الجماعية بالمنشورات المعادية لإسرائيل، مستفيدةً من اتصالات داخلية في المنصات الرئيسية لتسريع عمليات الإزالة. كما ستقوم شبكات الروبوتات والحسابات الآلية بتضخيم الرسائل الرسمية وربما تطغى على السرديات المعارضة، حيث ستستخدم مقاطع الفيديو والصور المُولَّدة بالذكاء الاصطناعي لإنشاء محتوى قابل للمشاركة ومؤثر عاطفيًا، يُعزِّز رواية «الضحية الإسرائيلية».

تتحوّل إسرائيل، عبر هذه الاستراتيجية، من الاعتماد حصريًا على مسؤولي الدولة إلى بناء سفراء رقميين، ويتم إرشاد المؤثرين الأمريكيين والأوروبيين وتشجيعهم على مشاركة محتوى مؤيد لإسرائيل على تيك توك وإنستغرام. وقد أصبح جنود جيش الدفاع الإسرائيلي أنفسهم منشئي محتوى، ينشرون تحديثات من ساحة المعركة، وشهادات شخصية مُصمَّمة لإضفاء طابع إنساني على القوات الإسرائيلية. تستهدف هذه الاستراتيجية جمهور الشباب الذين يستهلكون الروايات بشكل أساسي من خلال مقاطع فيديو قصيرة.

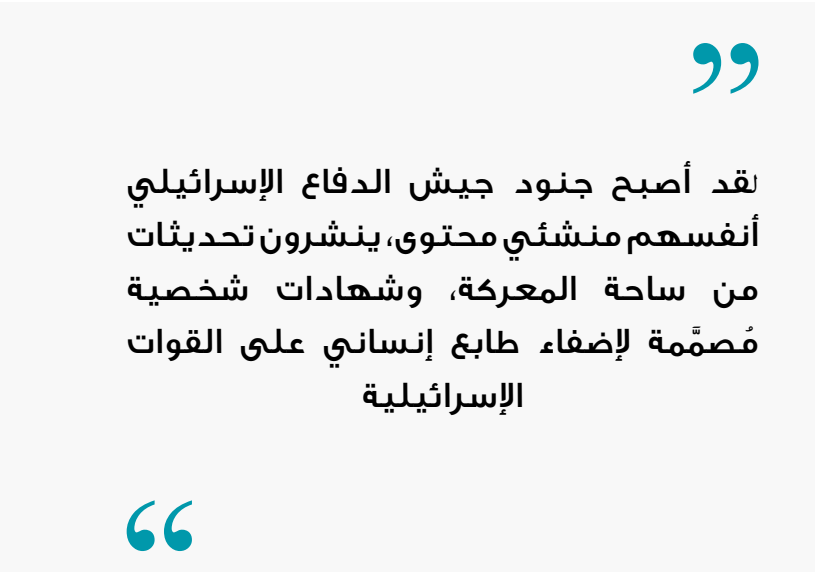

لقد أصبح جنود جيش الدفاع الإسرائيلي أنفسهم منشئي محتوى، ينشرون تحديثات من ساحة المعركة، وشهادات شخصية مُصمَّمة لإضفاء طابع إنساني على القوات الإسرائيلية

يسعى نتنياهو إلى ضبط الروايات والتصنيف المضاد، حيث تَتَّهمُ، على سبيل المثال، حملات مثل «غزة وود» الفلسطينيين بافتعال المعاناة. كما تُستَغل لغة التحقق لنزع الشرعية عن الشهادات الإنسانية، ووصمها «بالتضليل» أو «التحريض». تسعى كذلك إسرائيل إلى تشويش بيئة المعلومات وتقليل الوضوح الأخلاقي لادعاءات الإبادة الجماعية من خلال التشكيك في الأدلة

المرئية. وقد صُممت مقاطع الفيديو المؤيدة لإسرائيل لاستغلال خوارزميات المنصات التي تعتمد على مبادئ جذب الانتباه في الثواني الثلاث الأولى، وتلك المصنفة ضمن فئة الصدى العاطفي القوي (مثل: لمّ شمل الرهائن، وقصص الناجين)، في صيغ قابلة للمشاركة بكل سهولة (الميمات، والمختصرات، والمقاطع المترجمة). تعكس هذه الاستراتيجية التسويق التجاري، مما يعكس إدراكًا بأن الاهتمام، وليس الدقة، هو ما يُحرك التأثير في الفضاءات الرقمية. يسعى هجوم نتنياهو الرقمي المضاد إلى تحقيق عدة أهداف متداخلة تشمل ما يلي:

1. إعادة تموضع إسرائيل في صورة المحاصرة بدلًا من كونها مرتكبًا للعنف المنهجي من خلال التركيز على قصص الرهائن والهجمات الصاروخية والإرهاب.

2. إغراق المنصات بمحتوى مؤيد لإسرائيل، والذي يُقلل من ظهور الصور الإنسانية القادمة من غزة وأهمية هذه الصور.

3. منع تآكل الدعم العابر للأجيال، والذي قد يؤثر على توجهات السياسة الخارجية على المدى الطويل، من خلال استهداف الفئات العمرية الأصغر سنًا في الولايات المتحدة وأوروبا.

4. ضمان اتساق سياسات مواتية من خلال التواصل مع مالكي المنصات الرقمية، وبالتالي تشكيل بيئة العمل الرقمية المتناسبة مع المتطلبات الإسرائيلية.

الواقع الميداني والنتائج العكسية

قد يبدو أن جهود تشويه الروايات الإنسانية واعتبارها «مزيفة» أو «مُدبَّرة» بأنها قد تنجح في زرع الشك، لكنها قد تبدو أيضًا مثيرة للسخرية أو مُضلِّلة. عندما يكتشف الجمهور أن المحتوى قد تم تضخيمه أو تنسيقه بشكل مصطنع من خلال شبكات بوتات آلية، فإن رد الفعل العكسي قد يُفاقم الشكوك ليس فقط تجاه الحملة، بل تجاه رسائل إسرائيل الأوسع، وهذا ربما ما سيبدو عليه الأمر فعلًا. بهذا المعنى، سيكون فخ المصداقية هيكليًا، فكلما استثمرت إسرائيل في هندسة الروايات، زادت حساسيتها لانكشاف أساليب الدعاية. وعلى عكس ما كان عليه الحال في عصور سابقة من «هاسبارا»، يمتلك الصحفيون الاستقصائيون والباحثون الرقميون الآن أدوات لتتبع الحملات الزائفة، والإبلاغ عن نشاط بوتات الإنترنت، والتحقق من المحتوى المُتلاعب به. وبمجرد كشف هذه العمليات، فإنها تُعزز الاعتقاد بأن إسرائيل تسعى إلى إخفاء أو تشويه الحقائق على أرض الواقع.

كما أن صور الأحياء المدمرة، والمقابر الجماعية، والأطفال الذين يعانون من سوء التغذية، تؤثر بشكل فوري وقوة أخلاقية لا يمكن للمحتوى المضاد أن يطمسها. حتى عندما تُنتج إسرائيل مواد بصرية متطورة، مثل الرسوم المتحركة لإطلاق صواريخ خاطئة، وشهادات جنود جيش الدفاع الإسرائيلي، فإن التأثير العميق للصور الإنسانية يهيمن على المحتوى الرقمي.

على الرغم من تعقيد حملات إسرائيل، إلا أن جزءًا كبيرًا من المحتوى ينتشر داخل غرف صدى المؤيدين الحاليين. قد يُحفّز حشد المؤثرين الجماهير المؤيدة لإسرائيل في الولايات المتحدة أو غيرها، لكن البيانات تُشير إلى أن الجماهير الأوسع (وخاصةً جيل زد وجيل الألفية) أكثر ميلاً للتفاعل مع المحتوى المؤيد للفلسطينيين. ويعكس هذا انقسامًا جيليًا وثقافيًا، حيث غالبًا ما لا يثق المستخدمون الأصغر سنًا بالروايات الرسمية للدولة، وينجذبون نحو الأصوات الشعبية، وهذا يتماشى مع ما ينشره الفلسطينيون، الذين غالبًا ما يبثون مباشرةً من غزة، ويُنظر إلى المؤثرين المؤيدين لإسرائيل، حتى عندما لا يكونون على صلة مباشرة بها، على أنهم مُطلعون أو مُنسّقون بشكل مسبق. نتيجةً لذلك، ستعزز حملات إسرائيل التحيزات القائمة مسبقًا.

قد يتّسع هذا الأمر إلى المساس «بحياد المنصات» وإشعال مخاطر جيوسياسية، حيث يؤكد تقارب نتنياهو العلني مع إيلون ماسك وإشاراته إلى احتمال الاستحواذ على تيك توك على المخاطر الجيوسياسية لحوكمة المنصات. ومع ذلك، تنطوي هذه الأساليب على تصوير التواطؤ المدبر، فقد تنهار ثقة الجمهور بحياد المنصات إذا اعتُبرت المنصات مُحابية لإسرائيل بسبب علاقاتها مع النخبة. وبينما يطالب الجمهور الأمريكي والأوروبي بالشفافية من هذه المنصات، قد يُثير التحيّز لإسرائيل ردود فعل عنيفة من الجهات التنظيمية والناشطين والمستخدمين. وإذا افترضنا محاباة المنصات الرقمية لإسرائيل، فقد تُقلّد دول أخرى (كروسيا والصين) هذا النموذج، مما يزيد من زعزعة استقرار الحوكمة الرقمية.

بالنسبة للمنصات نفسها، يُخاطر الارتباط بحملات دعائية بإلحاق ضرر بسمعتها، مما يُعقّد ادعاءاتها بكونها منصات محايدةً في الخطاب العالمي. وقد يُثير موضوع تسليح وسائل التواصل الاجتماعي أسئلة أخلاقية عميقة.

بخلاف الدبلوماسية التقليدية، تتلاعب حرب المعلومات الرقمية مباشرةً بمشاعر وتصورات ملايين المستخدمين العاديين. وهذا يطمس الخط الفاصل بين الدبلوماسية العامة المشروعة والعمليات النفسية. بالنسبة لإسرائيل، قد يُحقق تطبيع هذه الأساليب مكاسب قصيرة الأجل، لكنه يقوّض «الشرعية الديمقراطية» على المدى البعيد. بالنسبة للمجتمع الدولي، تُبرز استراتيجية إسرائيل وحاجتها المُلحة إلى معايير أوضح لاستخدام الدولة للمنصات الرقمية. فبدون الشفافية والمساءلة، تنهار الحدود بين الإقناع والدعاية والتضليل.

التوصيات العامة

1. همسة في أذن صُنّاع السياسات

- تُظهر حالة غزة أن معارك الشرعية تتكشف على المنصات الرقمية بقدر ما تتكشف في المحافل الدبلوماسية. وينبغي لصنّاع السياسات التعامل مع الظهور الخوارزمي، وشبكات المؤثرين، والحملات الرقمية كعناصر أساسية في ديناميكيات الصراع.

- ينبغي أن تتضمن تقييمات الاستخبارات وإحاطات السياسة الخارجية رصدًا منهجيًا للروايات إلى جانب التطورات العسكرية والسياسية.

- ينبغي للحكومات الضغط من أجل مزيد من الإفصاح حول كيفية تعامل المنصات مع الحملات المرتبطة بالدولة، وإدارة المحتوى في مناطق الصراع، والترويج الخوارزمي للروايات هناك.

- يمكن وضع معايير دولية على غرار معاهدات الحدّ من الأسلحة، لضبط تلاعب الدول بالنظم الرقمية دون تقويض حرية التعبير.

- يتعاطف جمهور الشباب، وخاصة في الولايات المتحدة وأوروبا، مع الروايات الفلسطينية بشكل غير مسبوق. وعلى صُنّاع السياسات الغربيين مراعاة كيفية تأثير هذا الانقسام في الجيل على إجماع السياسة الخارجية المستقبلي بشأن فلسطين وإسرائيل.

- ينبغي إعطاء الأولوية لإشراك الشباب من خلال التعليم والدبلوماسية العامة لسدّ الفجوة بين النخب السياسية والجمهور الرقمي.

2. توصيات لمراكز الفكر والأبحاث

- ينبغي لمراكز الفكر إنشاء فرق متخصصة لتتبع معارك السرد عبر المنصات، باستخدام أدوات من تحليل وسائل الإعلام، واستخبارات المصادر المفتوحة، والتحليل الجنائي الرقمي.

- يُبرز صراع غزة انفصال تحليل الشرق الأوسط عن السياسة التكنولوجية، وعلى مراكز الفكر ربط هذه المجالات، من خلال الجمع بين الخبرة الميدانية والرؤى في حوكمة المنصات وديناميكيات الخوارزميات.

- سيعزز البحث متعدد التخصصات أهمية مراكز الفكر في دوائر صنع السياسات التي تواجه التحديات الناشئة المرتبطة «بالجغرافيا السياسية الرقمية».

- من شأن استضافة منتديات أو موائد مستديرة حول حروب السرد والقانون الدولي أن يساعد في صياغة أي معايير ناشئة.

الخلاصة

يُبرز صراع غزة حقيقةً جوهريةً في حروب القرن الحادي والعشرين، حيث لم تعد الشرعية تُشكّل حصريًا في القاعات الدبلوماسية أو وسائل الإعلام التقليدية، بل في النظم البيئية الخوارزمية لوسائل التواصل الاجتماعي. وقد تكبدت حملة إسرائيل، المتهمة على نطاق واسع بارتكاب إبادة جماعية، خسائر غير مسبوقة في سمعتها، مع انتشار المعاناة الإنسانية آنيًا عبر الشبكات الرقمية العالمية. وعلى عكس الصراعات السابقة، حيث كان بإمكان الدعاية الإعلامية تصوير إسرائيل كدولة ديمقراطية محاصرة، فإن فورية الصور المنتشرة، أعادت تصوير إسرائيل كجاني بدلًا من ضحية. هذا التآكل في السلطة الأخلاقية ليس عرضيًا؛ بل يعكس تحولًا هيكليًا في كيفية تشكيل السرديات، والطعن فيها، وإضفاء الشرعية عليها. تُضخّم الحقائق على أرض الواقع من خلال خوارزميات تُعطي الأولوية للمحتوى العاطفي في العصر الرقمي، مما يجعل الرسائل التي تُصاغ من قِبل الدولة في وضع غير مؤاتٍ عندما تتعارض مع المعاناة المُعاشة.

بالنسبة لفلسطين وإسرائيل والمجتمع الدولي، فالدرس واضح: بمجرد ظهور الحقيقة، من المؤكد أنها ستكون أكثر صمودًا من التضليل.

*محمد بن ساري الزعبي: باحث في مركز الخليج للأبحاث، ومؤلف كتاب «الأنظمة العالمية فوق القطبية: قراءة في الأنماط والسمات الاقتصادية والأمنية والرقمية الناشئة في النظام الدولي».

Gulf Research Center
Knowledge for All

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

Gulf Research Center
Jeddah
(Main office)

19 Rayat Alitihad Street
P.O. Box 2134
Jeddah 21451
Saudi Arabia
Tel: +966 12 6511999
Fax: +966 12 6531375
Email: info@grc.net

Gulf Research Center
Riyadh

Unit FN11A
King Faisal Foundation
North Tower
King Fahd Branch Rd
Al Olaya Riyadh 12212
Saudi Arabia
Tel: +966 112112567
Email: info@grc.net

Gulf Research Center
Foundation

Avenue de France 23
1202 Geneva
Switzerland
Tel: +41227162730
Email: info@grc.net

Gulf Research Centre
Cambridge

University of Cambridge
Sidgwick Avenue,
Cambridge CB3 9DA
United Kingdom
Tel:+44-1223-760758
Fax:+44-1223-335110

Gulf Research Center
Foundation Brussels

4th Floor
Avenue de
Cortenbergh 89
1000 Brussels
Belgium
grcb@grc.net
+32 2 251 41 64